مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

سيناريوهات المرحلة وتأثيرها على اليمن وإيران

د. زيد بن علي الفضيل
مدير البرنامج الثقافي والإعلامي
مركز الخليج للأبحاث

تحرير مفهوم محور المقاومة:

كانت المملكة العربية السعودية ولا تزال قائدة في محور المقاومة، ودون أن تثير أي جلبة هنا وهناك، أو تدعم تكوينات سياسية وعسكرية معارضة وخارجة عن سلطة القانون بوجه عام، وعكست بمواقفها السياسية وتصريحاتها الدبلوماسية صلابةً قويةً في الموقف، وضَحَت مؤشراته في رفضها القاطع للسلام مع إسرائيل بالرغم من كل الضغوط والرجاء الدولي بقيادة الولايات المتحدة ودول أوروبا بوجه عام، لكنها ظلت ثابتة على موقفها الرسمي القاضي بحل الدولتين، وتحقيق السلام العادل، مع إعطاء الفلسطينيين حقوقهم المشروعة، ووقف الاعتداء السافر على الفلسطينيين في قطاع غزة.

هذا السياق الصارم لم يُنظر له في البعد الإعلامي المناوئ باعتباره موقفا مقاوما، ولذلك بات مهما تحرير المفهوم والمصطلح ابتداء، ذلك أن مفهوم «محور المقاومة» قد أطلق حصريا على الجبهة الإيرانية وحلفائها من التكوينات السياسية والعسكرية كحزب اللّه في لبنان، وحماس والجهاد الإسلامي في غزة، وجماعة الحوثي في اليمن، والحشد الشعبي في العراق، وفي ذلك تحجير لمفهوم واسع، واتهام للآخر خارج هذه الدائرة بأنه في المحور المقابل أي «محور المهادنة»، وهو ما جرى على لسان عديد من المعلقين السياسيين ممن ينتمون إلى الجبهة الإيرانية، وأكده بجهل أو عدم وعي بعض المعلقين السياسيين في الطرف الآخر.

والواقع فقد أثبتت الأحداث السياسية الراهنة بأن «المقاومة» من حيث جوهر مفهومها وطبيعة فعلها، لم تكن قاصرة على الجبهة الإيرانية وغيرها من الجبهات القومية الإسلامية، أو تيارات الإسلام الجهادي، والتي أضرت بنفسها وبغيرها على امتداد المسير؛ وإنما هو مفهوم ممتد وواسع يشمل آخرين في المنطقة العربية والإسلامية، وإن اختلفوا في المنهج والأسلوب، وبالتالي فمهم المبادرة بالتصحيح حتى لا يزيد سقوطنا كمجتمع عربي إسلامي في ظلام الاتهام المتبادل، والرابح الوحيد من ذلك هو العدو الإسرائيلي الذي يعمل على تعميق الفجوة عبر ذبابه الإلكتروني الاستخباري.

الرمق الأخير في محور المقاومة الإيراني:

في جانب آخر فقد كشفت التطورات العسكرية والسياسية الراهنة عن ضعف العلاقة الوجودية بين إيران بوصفها دولة إقليمية لها امتدادها اللوجستي في المنطقة، وبقية أذرعها السياسية والعسكرية التي لم تحرك ساكنا إبان احتدام حرب الـ١٢ يوما بين إيران وإسرائيل، على الرغم مما كان يروج له إعلاميا من وحدة الموقف والمصير، لكن ذلك قد انهار في المواجهة الأخيرة والذي وضحت ملامحه من بعد أحداث السابع من أكتوبر، حيث لم تحرك إيران ساكنا إزاء ما تتعرض له حماس والجهاد في غزة، واكتفى حزب اللّه بحربه المحدودة مع إسرائيل فيما أطلق عليه «حرب الإسناد»، ولم يصدر شيئا محسوسا عن الحشد الشعبي في العراق، ومارس الحوثيون ضغطا محدودا عابرا للجغرافيا. وكل هؤلاء قد واجهوا مصيرهم لوحدهم بعد ذلك، ودون أن تحرك إيران ساكنا، وبالتالي فحين جاء الدور على إيران وتم قصفها إسرائيليا، بقي الآخرون مراقبين إلا من بعض المُسيرات والصواريخ التي أطلقها الحوثيون من اليمن.

أشير إلى ما كان يعلنه حزب اللّه في لبنان دائما وفق خطابات أمينه العام الأسبق السيد حسن نصر اللّه، بأنهم لن يقفوا مكتوفي اليد في حال تعرضت إيران لهجوم عسكري من قبل إسرائيل، لكن ذلك لم يحدث طوال الـ١٢ يوما، وظلوا صامتين ومراقبين للمشهد؛ ولعل ذلك راجع إلى انهيار قوتهم العسكرية في الحرب الاستباقية التي شنتها إسرائيل عليهم خلال الأشهر الماضية، والتي نتج عنها اغتيال كثير من القيادات العسكرية والسياسية وعلى رأسهم السيد حسن نصر اللّه وخليفته السيد هاشم صفي الدين، وبالتالي فَقَدَ حزب اللّه القدرة على مواجهة إسرائيل، وهو ما دعاه للقبول بوقف إطلاق النار والرضوخ للقرار الدولي وفق إرادة إسرائيلية، ودون أن يجد الحزب أي دعم حقيقي من جمهورية إيران، التي وقفت مراقبة للمشهد، كما هو الحال مع الحزب بعد ذلك.

والسؤال: هل بقي أي قاسم مشترك في محور المقاومة الإيراني؟ وكيف يمكن احتواءه بإيجابية؟

> **ما كان يعلنه حزب اللّه في لبنان دائما وفق خطابات أمينه العام الأسبق السيد حسن نصر اللّه، بأنهم لن يقفوا مكتوفي اليد في حال تعرضت إيران لهجوم عسكري من قبل إسرائيل، لكن ذلك لم يحدث طوال الـ١٢ يوما، وظلوا صامتين ومراقبين للمشهد**

سياسة الاحتواء وواقعية الحكومة الإيرانية الحالية:

أمام ما سبق يمكن القول بأننا أمام ظرف إقليمي ودولي جديد، ومهم أن يكون للمملكة العربية السعودية دور في صياغته، لاسيما وأنها تترأس بحكم موقعها الديني والاقتصادي والسياسي والجغرافي العالمين العربي والإسلامي، وهو ما يخولها لجمع واحتواء مختلف الأطراف سواء من منظور ديني جامع، باعتبار قدسية الحرمين الشريفين، أو من منظور سياسي واقتصادي واسع، جراء ما يتوفر لها من مكانة دولية كبيرة.

أشير إلى مركزية القضية الفلسطينية في واقع الصراع الإقليمي والدولي، لاسيما بعد أن وجدت تعاطفا شعبيا كبيرا في الأوساط الغربية، جراء التوحش الإسرائيلي في غزة، والذي جوبه بصلابة موقف عربي وإسلامي بوجه عام، ووقفت السعودية أمامه بحزم شديد. وبالتالي فمع انزواء إيران الراديكالية بصخبها عن المشهد الفلسطيني في غزة، ووضوح تفكك الجبهة الإيرانية وفق ما سبق، يصبح من المهم أن تتبنى المملكة العربية السعودية تقديم رؤية سياسية بدعم دولي، لإنهاء كل أعمال التوحش الإسرائيلي، والوصول إلى صيغة مثلى لإدارة الحكم في غزة، بالتوافق مع السلطة والقوى السياسية الفلسطينية، وهو مقدمة للوصول إلى حل الدولتين، الذي سيطفئ كل طوفان العداء المستحكم في الشرق الأوسط.

في هذا السياق فقد لفت نظري فحوى خطاب وزير خارجية إيران السيد عباس عراقجي المنشور على منصة X جوابا على منشور وحديث الرئيس دونالد ترامب حول إيران، حيث ورد في جوابه الآتي:

«إذا كان الرئيس ترامب صادقا في رغبته في التوصل إلى اتفاق، فيجب عليه أن يضع جانبا النبرة غير المحترمة وغير المقبولة تجاه القائد الأعلى الإيراني أية اللّه خامنئي ... إن الإرادة الطيبة تولد إرادة طيبة، والاحترام يولد الاحترام»

هكذا يبدوا واضحا في خطاب السيد عراقجي عدم ممانعته لأي سياسة احتواء للعلاقات الإيرانية الأمريكية، والبدء ببناء علاقة جديدة بالرغم من حالة الاعتداء الأمريكي عليهم، وهو خطاب سياسي واقعي تتميز به الحكومة الإيرانية القائمة برئاسة مسعود بزشكيان، الذي ينتمي لتيار الإصلاح المؤمن بوجوب خروج إيران من حالتها الثورية، وانخراطها في سياقات المجتمع الدولي.

وهو ما يمكن استظهاره من طبيعة علاقات الحكومة الإيرانية حاليا بالمملكة العربية السعودية، القائم على إظهار المودة، وتعزيز التعاون وأطر العلاقات بشكل أكثر حضورا وانسجاما، وما موقف الحكومة الإيرانية الصارم الرافض لتجاوز قاسميان خلال موسم حج ١٤٤٦هـ/ يونيو٢٠٢٥م، على الرغم من كونه أحد الشخصيات المُعَمَّمَة، ويشغل منصبا رفيعا في مجلس الشورى، إلا مثالا على توجه إيران السياسي المعتدل إزاء المملكة والخليج بوجه عام.

وفي كل، فذلك هو موقف إيران حين يتولى الإصلاحيون الحكم، حيث ابتدأت ملامح هذا الموقف المعتدل سياسيا مع الرئيس هاشمي رفسنجاني، ثم الرئيس محمد خاتمي، واليوم نشهده مع الرئيس مسعود بزشكيان الأكثر تقاربا مع السعودية والخليج والعالم، باعتبار تغير المرحلة دوليا، وتغير السياق المجتمعي على الصعيد الداخلي في إيران.

وحتما فذلك مصدر لقوته، مما يحفز الدول الأخرى وبخاصة دول مجلس التعاون الخليجي وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، إلى المضي قدما لدعمه سياسيا واقتصاديا، إقليميا ودوليا، بهدف المساعدة في تغيير سلوك إيران السياسي، وانخراطها من جديد من إطارات المجتمع الدولي بشكل طبيعي.

أشير إلى حالة الثبات في الموقف السياسي السعودي إزاء إيران، حيث أبانت بحزم موقفها الرافض لأي اعتداء أو تجاوز على إيران أو من قبلها بالمثل. وكما يظهر فقد أدركت إيران أهمية الدور السعودي ومحوريته على الصعيد الإقليمي والدولي، ورأت موقفها السياسي والعسكري الصارم والذي انعكس في إدانتها الواضحة لاعتداء إسرائيل في الحرب السالفة، وتحميل إسرائيل تبعات ما يحدث من تصعيد، ورفضها لأن تكون أجواءها ممرا لأي اعتداء من هنا وهناك، مع دعوتها الدائمة للحوار والابتعاد عن العنف؛ وهو ما دعا الرئيس الإيراني لأن يتوجه بالاتصال بسمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان فور إعلان وقف إطلاق النار، مبديا شكره للمملكة على موقفها الراسخ والأكيد.

> **تعزيز أكثر لحالة الوئام الإيراني السعودي التي بدأت مع توقيع الاتفاق الأمني بينهما في الصين، والذي صمد أمام كل العواتي والرياح**

هذا السياق يستدعي أن يكون هناك تعزيز أكثر لحالة الوئام الإيراني السعودي التي بدأت مع توقيع الاتفاق الأمني بينهما في الصين، والذي صمد أمام كل العواتي والرياح؛ وكما تحرص الولايات المتحدة اليوم على احتواء إيران سياسيا والاستفادة منها اقتصاديا، فالأولى أن تقوم السعودية بهذا الدور، فتكون بمثابة الباب لدخول إيران إلى الساحة الاقتصادية الدولية في حال رفع العقوبات عنها، وأظن ذلك ليس بعيدا في ظل الحكومة الحالية، وطبيعة الظرف الإيراني المؤيد لها زمانا ومكانا؛ علاوة على احتواءها سياسيا على الصعيد الداخلي والخارجي، واحتواء جبهتها في المنطقة العربية على وجه الخصوص، وذلك بالوصول إلى صيغة تفاهم مثلى لاحتواء ذراعها الرئيسي في لبنان، انطلاقا من مركزية هويته العربية بعيدا عن إشكال الانتماء الأيديولوجي، الذي كان حاكما للمنطقة خلال الثلث الأخير من القرن العشرين، وكذلك الحال مع بقية المناطق العربية كالعراق واليمن.

اليمن بين السعودية وإيران:

في هذا الإطار فقد توثقت العلاقة الاستراتيجية بين جماعة الحوثي في اليمن وجمهورية إيران وبخاصة من عام ٢٠١٤م، وتزايدت العلاقة العسكرية بينهما بعد ذلك، لينتج عنها تنامي القوة الصاروخية لدى الحوثيين، وقدرتهم على إطلاق المُسيرات والتي بلغ عديد منها دولة إسرائيل، واستهدف بعضها تل أبيب، وحتما ما كان ليكون ذلك لولا المساندة اللوجستية الإيرانية عبر منظومة الاتصال والأقمار الصناعية.

في المقابل فيمكن للمتابع إدراك الفارق الجوهري في العلاقة بين الحوثيين في اليمن وحماس والجهاد في غزة، مع باقي الأذرع الإيرانية في لبنان والعراق، فالأخيرين يتحدان مع إيران مذهبا، وبالتالي يرتبطان بها وجودا، في حين ترتكز العلاقة بين جماعة الحوثي في اليمن وأطراف المقاومة في غزة على الجانب السياسي والدعم العسكري، ودون أن يَشعرا بأي انتماء وجودي لإيران، لكونهما يختلفان معها قوميا ومذهبا.

إدراك ذلك مهم في تأسيس رؤية سياسية مستقبلية بعيدا عن الدغمائية التي سيطرت بخطابها على المشهد سابقا، والتي لم تحقق شيئا، بل ساهمت في تسهيل نشر المشروع المذهبي الإيراني في وقت مضى، على أن ذلك لم يؤثر في بنية المجتمع اليمني والفلسطيني، اللذان لم يتبنيا المذهب الشيعي الاثناعشري بشكل عام.

في جانب آخر، فإذا كان الولاء لدى قادة حزب اللّه في لبنان والحشد الشعبي في العراق مبنيٌ على إيمانهم بسلطة الولي الفقيه، فإن ذلك منفي في اليمن وحتما في غزة، لعدم الموافقة في المذهب، وبالتالي فتوافقهم مع إيران نابع من توافق المصلحة، أو راجع إلى الحاجة والاضطرار، وليس نابعا من أي مفهوم ديني روحي. وهو ما يجعل التفاهم معهم أسهل، وفقا للحاجات والمصالح والتوافقات الكبرى السياسية والاقتصادية.

أشير إلى عمق الوجدان السعودي في الشارع اليمني الممتد لعقود طويلة، ومدى التوافق والتطابق في مختلف العادات والأعراف والمفاهيم القبلية بين البلدين، ناهيك عن التاريخ المشترك والوئام السياسي الذي أسست له معاهدة الطائف عام ١٩٣٤م، وأكدتها جميع المعاهدات اللاحقة والمواثيق السياسية، وكل ذلك يفتح الباب لبدء حوار جاد يستهدف احتواء ما تناثر من خلاف، والبدء من جديد وفق رؤية سياسية واقتصادية تُخرج الشارع اليمني من أزمته، وتُنهي كل سبب لأي توتر سلف، انطلاقا من حكمة يمنية، ودعم سعودي أصيل.

إذا كان الولاء لدى قادة حزب اللّه في لبنان والحشد الشعبي في العراق مبنيٌ على إيمانهم بسلطة الولي الفقيه، فإن ذلك منفي في اليمن وحتما في غزة، لعدم الموافقة في المذهب، وبالتالي فتوافقهم مع إيران نابع من توافق المصلحة، أو راجع إلى الحاجة والاضطرار

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

4th Floor
Avenue de
Cortenbergh 89
1000 Brussels
Belgium
grcb@grc.net
+32 2 251 41 64